ظاهرة الارجاء في الفكر السياسي الاسلامي

أ.م.د.احمد عدنان عزيز[*] ا.م.د. تغريد حنون علي[**]

ملخص بحث

تعد قضية ظهور الفرق والنحل والجماعات في الاسلام من المسائل الخطيرة التي مر بها الدين الاسلامي وانعكس ذلك على الفكر فيه، وتعد فرقةالمرجئة واحدة من هذه الفرق التي ظهرت في صدر الاسلام، وفرقة المرجئة لم تكن فرقة محددة المعالم متميزة التفكير والتنظيم والاراء والمواقف، بل شملت تسمة المرجئة اشخاصا كثيرين جمعتهم عقيدة الارجاء، وفرقت بينهم مواقف عقيدية وسياسية اخرى، دلت على غياب خط فرقي واحد متناغم يجمهعم، وهذا يفسر بتغلغل عقيدة الارجاء الدينية في صفوف افراد منتمين الى جماعات او فرق متنوعة جمعوا بين مقولتهم المرجئية في اطارها الديني فقط، وبين معتقداتهم الدينية ومواقفهم السياسية الاخرى ذات الانتماء الفرقي المعلن والمتباين.

مقدمة

تعد قضية ظهور الفرق والنحل والجماعات في الاسلام من المسائل الخطيرة التي مر بها الدين الاسلامي وانعكس ذلك على الفكر فيه، اذ شهدت الساحة الفكرية سجالات حول هذه الفرق ومدى تاثيرها على الوحدة الاسلامية خاصة فيما يتعلق

[*] كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد..

[**] كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد..

بقضية السلطة والموقف منها، مما سبب للامة الاسلامية متاعب فكرية وعقيدية، مازالت تلقي بظلالها على الاتجاهات الاسلامية كافة التي كانت وليدة هذه الفرق والجماعات، و أحد اهم انعكاسات ظهور التيارات والفرق في الاسلام: انتاج المذاهب الاسلامية واتهام هذه المذاهب بعضها للاخر بالانحرافات الفكرية والعقيدية وصلت حد التكفير.

وتعد فرقة المرجئة واحدة من هذه الفرق التي ظهرت في صدر الاسلام كما يقال، وقبل الخوض في البحث عن اصل هذه الجماعة او الحركة السياسية المغطاة بغطاء الدين، لابد ان نقول ان الهدف من الكتابة نعني به جلاء الحقائق بعد ان انحرفت الكثير من الاقلام عن الصواب وانتحت جانبا نحو التعصب لرأي ضد الاراء الاخرى.

الاساس الفكري والسياسي لظهور الفرق في الاسلام كان مع الدعوة الاسلامية وفجرها الاول اذ جوبهت بعدة قوية وبعدد كبير من المعارضين الذين قضى الاسلام على عقائدهم الفاسدة وهدم هياكل عباداتهم التي يعبدونها من دون الله، لهذه الدعوة لم يخضع جبابرة قريش الذين لم يرق لهم انتشار الدين الجديد فتكتلوا لحرب الرسول (ص) ومعارضة دعوته وبعد ان عجزوا عن مقابلة الاسلام وجها لوجه راحوا يعملون من وراء الستار بايدٍ عابثة وروجوا لأفكار الغلو الفساد والانحراف [1].

تقوم فرضية البحث على (ان ظاهرة الارجاء في الفكر السياسي الاسلامي ظاهرة فكرية وليست فرقة تاريخية فحسب، انعكس هذا الفكر على واقعنا المعاصر الذي يسيطر عليه الفكر الإرجائي، ادت بالامة الاسلامية بالاسترخاء عن العمل واقعا، واتكائنا بالارجاء نظريا وان لم نعتنق فكر المرجئة ونؤمن به).

ومن اجل تحقيق هذا الغرض الخاص بالبحث بظاهرة الارجاء في الفكر السياسي الاسلامي سنقسم البحث الى ثلاث محاور : الاول: يتناول اصل المرجئة من حيث اللغة والاصطلاح والنشأة التاريخية لهم، اما المحور الثاني : تناول فرق المرجئة وعقائدهم، والمحور الثالث : تقييم ومقاربة افكارهم واراءهم.

المحور الاول : اصل المرجئة ونشأتهم

سنتناول في هذا المحور تسليط الضوء على جماعة المرجئة من حيث اصل التسمية لغة واصطلاحا ونشأة هذه الجماعة من حيث الظهور التاريخي لهم.

اولا : الارجاء في اللغة والاصطلاح :

اصل كلمة مرجئة في اللغة : رجئة : بضم فسكون وكسر الجيم مشتق من اسم فاعل : ارجأ وارجاء. فلان الامر : اخره [2].

وهذا الاشتقاق اللغوي له معنيين: الاول : الارجاء : التاخير، مهموز ومنه سميت المرجئة مثال المرجعة، يقال: رجل مرجئ مثال مرجع والنسبة اليه مرجئي مثال مرجعي هذا اذا همزت : مع الهمزة فهنا يعني موجلا وموخرا[3]. والثاني : من لم يهمز فالنسبة اذا لم تهمز قلت : رجل مرج مثال معطٍ وهم المرجية بالتشديد لأن بعض العرب يقول: ارجيت واخطيت وتوضيت فلا يهمز. اليه مرجي هو اعطاء الرجاء [4] .

اما في الاصطلاح فهنالك عدة معانٍ للمرجئة والارجاء فأرجاه اخره استنادا الى قوله تعالى: "واخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم"[*]، اي مؤخرون حتى ينزل فيهم مايريد ومنه المرجئة كالمرجعة[5]. كما ان تسمية هذه الجماعة بالمرجئة لاعتقادهم ان الله تعالى ارجأ تعذيبهم عن المعاصي، اي اخره عنهم. وهم الذين بالايمان قولا بلا عمل لانهم يقدمون القول ويؤخرون العمل. وقال بعض اهل المعرفة بالملل: ان المرجئة هم الفرقة الجبرية الذين يقولون : ان العبد لافعل له واضافة الفعل اليه بمنزلة اضافته الى المجازات كجري النهر ودارت الرحا. وانما سميت المجبرة مرجئة لانهم يؤخرون امر الله ويرتكبون الكبائرن وسموا بذلك لارجائهم حكم اهل الكبائر الى يوم القيامة [6].

وهنالك من يقول ان المرجئة فرقة مقابلة للشيعة وسموا مرجئة لانهم زعموا ان الله تعالى اخر نصب الامام علي ليكون نصبه باختيار الامة بعد النبي (ص) [7].

وايضا في سبب تسميتهم فقد قيل ان اهم اصل من الاصول التي التزم بها الخوارج هو القول بتكفير مرتكب الكبيرة او الذنب مطلقا وخلوده في النار وقد ادى هذا

الموقف المتطرف من هولاء الى بروز فرقة في قبالهم تنادي بعكس ماعتقدوهن حيث حكمت بايمان مرتكب الكبيرة واما من جهة عقابه بخلوده في النار كما ارتآه الخوارج فلا يقولون فيه بقول بل يرجئون الحكم في ذلك الى الله، فالمرجئة يؤمنون بانه لاتنفع مع الكفر طاعة كما لاتضر مع الايمان معصية، فالمعاصي عن هؤلاء لاتزيل صفة الايمان عن مرتكبها، ومن الواضح ان لازم هذا القول، فتح باب الرجاء امام العاصي لمغفرة الله وعفوه وقد يكون هذا اقوى الاحتمالات لتسميتهم بالمرجئة [8].

وبهذا تكون هنالك عدة معانٍ لمصطلح الارجاء : فهي تعني تأخير العمل عن النية والقصد. وتعني اعطاء الرجاء للناس (لاتضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة) . وتعني: التاخير : اي تأخير صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من اهل الجنة او من اهل النار. وان الله سبحانه وتعالى في يوم القيامة ان شاء عذبه وان شاء غفر له.

ثانيا : الخلفية التاريخية لنشوء ظاهرة الارجاء

لقد اضطربت الاقوال حول نشأة هذه الفرقة وبدء تكوينها، وهذه الفرقة وتسميتها نشأت في وسط شاع فيه الكلام في مرتكب الكبيرة : اهو مؤمن ام غير مؤمن ؟ فالخوارج كما وضحنا قالوا انه كافر، والمعتزلة قالوا غير مؤمن وقد سمي مسلما من قبلهم، والحسن البصري وطائفة من التابعين قالوا : انه منافق، لان الاعمال دليل على القلوب، وليس اللسان دليلا على الايمان، وقال الجمهور من المسلمين : هو مؤمن عاص امره بيد الله ان شاء عذبه بقدر ذنبه وان شاء عفا عنه. وفي وسط هذا الاختلاف جهرت هذه الفرقة بانه لايضر مع الايمان ذنب ولا مع الكفر طاعة كما وضحنا، وايضا مجموعة قالت منهم: ان مرتكب الكبيرة والذنب يرجأ الى الله تعالى يوم القيامة [9].

هذه هي اجواء ظهورهم في ظل احتدام الصراعات الفكرية والعقائدية، وذهب بعض الكتاب المحدثين الى القول بان ظهور الارجاء كفكرة انما كان في عهد الخليفة عثمان بن عفان، عندما وقف قسم من المسلمين موقف المحايد بينه وبين الثائرين عليه، اذ كانت البذرة الاولى للارجاء نبتت هنا، اذا ظهرت الفتن التي انتهت بمقتل الخليفة

الثالث، وفي اثناء ذلك اعتصمت طائفة من الصحابة بالصمت وتجملت بالامتناع عن الاشتراك في تلك الفتن التي مرج بها المسلمون مرجأ شديدا، ولما اشتدت الاختلافات بين المسلمين، ولم تقف عند الحكم في قضية الخلافات، وانضمت اليها مسألة مرتكب الذنب، وجدت طائفة تنتهج منهج الارجاء الذي نهجه بعض الصحابة في هذه المسألة فقرروا ماذكرنا سابقا رأيهم، وامتنعوا عن الخوض في الخلاف السياسي، وامتنعوا عن الخوض في مرتكب الذنب لانه انبعث ايضا من الخلاف السياسي [10].

والرأي الاخر لنشأة ظاهرة الارجاء ناشئ من ان اول مااطلق هذا الاسم على الذين اجتمعوا مع معاوية بعد مقتل الامام علي، وسموا المرجئة، لانهمّ أيدوا المتنازعين جميعا في الجمل وصفين، وقالوا : ان اهل القبلة كلهم مؤمنون باقرارهم الظاهر من الايمان، ورجوا لهم جميعا المغفرة، وسموا المرجئة لانهم توالوا المختلفين جميعا وزعموا ان اهل القبلة كلهم مؤمنون باقرارهم الظاهر بالايمان ورجوا جميعا لهم المغفرة [11].

ويرى بعض المؤرخون ان هذه الفرقة نشأت اساسا بايعاز من ودعم الحكم الاموي، فحكمت وامضت مشروعية حكمهم وتركت الحكم فيما اقترفوه من الاحداث الجسام الى الله تعالى، فهو الذي يحكم بين عباده بالحق يوم القيامة، والمسلم يكفي ان يكون مسلما، وليس لاحد ان يخوض في اعمالهم او يحكم عليهم بشيء من عنده [12].

لكن الرأي الارجح لظهور الارجاء في الاسلام لايمكن تحديده نتيجة هذه الوقائع التاريخية وربطها بالتفسيرات، لانها تمثل اجتهادات لمدراس مختلفة التوجهات قد تحاول توظيف نشوء هذه الجماعة وفق مقتضياتها وموائمتها لطروحاتها، انما من الممكن التثبت ان المرجئة في نشأتها الاولى ترتبط بمحاولة هذه الجماعة اظهار حيادهم تجاه التيارات المتصارعة في الفترة التاريخية التي مر بها الاسلام وشهد صراعا على السلطة بشكل محموم، وهذه الفترة تنحصر بعد الظهور الاولي لحركة الخوارج وبشكل اكثر تحديدا عام 37هـ من العام الذي وقعت فيه احداث صفين وما اعقبها من نتائج [13].

المحور الثاني : فرق المرجئة ومعتقداتهم :

اولا : فرق واصناف المرجئة :

انقسمت المرجئة كغيرها من الفرق والجماعات الى عدة اتجاهات تختلف وتشترك فيما بينها من حيث القول والمعتقد والموقف، لكنها جميعا تندرج تحت اسم واسع هو المرجئة.

بعد احداث صفين امتدادا الى مقتل الامام علي تحديدا صارت المرجئة فرقة موجودة واقعا وافترقت الى اربع فرق بادئاً [14]:

الاولى : فرقة الجهمية :وهم غلوا في القول وهم اصحاب (جهم بن صفوان)، وهو مرجئة اهل خراسان.

الثانية: فرقة الغيلانية: وهم اصحاب (غيلان بن مروان)، وهم مرجئة اهل الشام وهو اول من قال بالقدر والارجاء.

الثالثة : فرقة الماصرية : وهم اصحاب عمرو بن قيس الماصر، وهم مرجئة اهل العراق.

الرابعة : فرقة النساك و البترية من اصحاب الحديث، منهم (سفيان الثوري) و(شريك بن عبد الله) و(ابن ابي ليلى) و(محمد بن ادريس)، ونظرائهم من اهل الحشو والجمهور العظيم، وقد سموا ب(الحشوية).

اما الشهرستاني فقد صنف المرجئة الى اربع اصناف : مرجئة الخوارجن ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، ومرجئة الخالصة، وركز على الصنف الاخير الخالصة منهم بتقسيمهم الى ستة اصناف وهم [15] :

1- اليونسية : اصحاب يونس بن عون النميرين زعم ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلبن ففمن

اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وماسوى ذلك من الطاعة فليس من الايمان ولا يضر تركها حقيقة حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك الا اذا كان الايمان خالصا واليقين صادقا وزعم ان ابليس كان عارفا بالله وحده غير انه كفر باستكباره عليه.

2- العبيدية : اصحاب عبيد المكتئب، حكى عنه انه قال: مادون الشرك مغفور لا محالة، وان العبد اذا مات على توحيده لايضره مااقترف من الاثام، واجترح من السيئات، وحكى اليمان عن عبيد المكتئب واصحابه انهم قالوا : ان علم الله تعالى لم يزل شيئا غيره وان كلامه لم يزل شيئا غيرهن وكذلك دين الله لم يزل شيئا غيره، وزعم ان الله تعالى عن قولهم على صورة انسان وحل عليه قول النبي (ص) : ان الله خلق ادم على صورة الرحمن.

3- الغسانية : اصحاب غسان الكوفي، زعم ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله، والاقرار بما انزل الله وبما جاء به الرسول في الجملة دون تفصيل، والايمان لايزيد ولاينقص، وزعم ان قائلا لو قال اعلم ان الله تعالى قد حرم اكل الخنزير لا ادري هل الخنزير الذي حرمه هذه الشاة ام غيرها كان مؤمنا، ولو قال اعلم ان الله تعالى فرض الحج الى الكعبة غير اني لا ادري اين الكعبة ولعلها بالهند.

4- الثوبانية : اصحاب ابي ثوبان المرجئ، الذين زعموا ان الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله، وبكل ما لايجوز في العقل ان يفعله وماجاز في العقل تركه فليس من الايمان واخر العمل كله عن الايمان، ومن القائلين بمقالة ابى ثوبان هذا، ابو مروان غيلان بن مروان الدمشقي ومحمد بن شبيب والفضل الرقاشي..وكان غيلان يؤمن بالقدر خيره وشره من العبد.

5- التومنية : اصحاب ابي معاذ التومني، زعم ان الايمان هو ماعصم من الكفر، وهو اسم لخصال اذا تركها التارك كفر، وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر، ولايقال للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان، وكل معصية كبيرة او صغيرة لم يجمع عليها المسلمون بانها كفر لايقال لصاحبها

فاسق، ولكن يقال فسق وعصى، وتلك الخصال هي المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول، قال : ومن ترك الصلاة والصيام مستحلا كفر ومن تركهما على نية القضاء لم يكفر ومن قتل نبيا او لطمه كفر لا من اجل القتل واللطم ولكن من اجل الاستخفاف والعداوة والبغض. والى هذا المذهب (ميل ابن الرواندي) و(بشر المريسي)، قالا : الايمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعا، والكفر هو الجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر في نفسه ولكنه علامة الكفر.

6- الصالحية : اصحاب صالح بن عمر الصالحي والصالحي ومحمد بن شبيب وابو شمر وغيلان كلهم جمعوا بين القدر والارجاء، وانفرد الصالحي عن المرجئة بالقول : ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى على الاطلاق وهو ان للعالم صانعا فقط، والكفر هو الجهل به على الاطلاق، قال وقول القائل : ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لايظهر الا من كافر، وزعم ان معرفة الله تعالى : هي المحبة والخضوع له ويصح ذلك مع حجة الرسول ويصح في العقل ان يؤمن بالله ولايمون برسوله، وزعم ان الصلاة ليست بعبادة الله تعالى وانه لا عبادة له الا الايمان به وهو معرفته،، وهو خصلة واحدة لايزيد ولاينقص، كذلك الكفر خصلة واحدة لايزيد ولاينقص.

ثانيا : المعتقدات

1-الايمان :

ماذكره الشهرستاني حول اصناف فرق المرجئة ذكرنا معتقدات كل فرقة واهم اصحابها، فيما يخص الايمان والقدر والجبر، وذكرنا في تسميتهم ايضا ملامح اساسية من معتقداتهم فيما يخص التاخير والارجاء، وان كان ماذكره الشهرستاني لم يكن كل ماعتقدت به كل اصناف المرجئة، ولهذا سنركز على موقفهم من الامامة والوعد والوعيد، لاستكمال معتقداتهم.

فيما يخص الايمان ،الذي يبدو من مراجعة كلمات واقوال ومعتقدات المرجئة فيما يخص الايمان وعلى اختلاف فرقهم المتقدمة، انهم يجمعون على اصل سياسي عندهم، هو ان الايمان، ليس الا التصديق في القلب والقول باللسان دون ان يكون للعمل بمقتضاه اية دخل في اتصاف الانسان به. وقد نسب الى بعض فرقهم القول بعدم اشتراط التصديق المذكور في حصول صفة الايمان عند الانسان، بل اكتفوا لحصول ذلك بالاقرار باللسان فقط. ومن هنا ذهبوا الى القول بايمان المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله (ص) مع اعترافهم بأنهم لم يؤمنوا بقلوبهم. ومن هنا ذهبوا ايضا الى القول : بان الكفر المقابل للايمان، يتحقق بالانكار باللسان، وان انعقد قلبه على الاقرار بكل الاصول [16].

2–الوعد والوعيد:

ان المرجئة يبالغون في اثبات الوعد، وهم عكس المعتزلة المبالغين في اثبات الوعيد، فهم يرجون المغفرة والثواب لاهل المعاصي، ويرجئون حكم اصحاب الكبائر الى الاخرة، فلا يحكمون عليهم بكفر ولافسق ويقولون : انما الايمان هو التصديق بالقلب واللسان فحسب، فالايمان عندهم منفصل عن العمل، ومنهم من زعم ان الايمان اعتقاد بالقلب، وان اعلن الكفر بلسانه وعبد الاوثان، او لزم اليهودية والنصرانية وعبد الصليب، واعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الايمان عند الله، وهو ولي الله ومن اهل الجنة [17].

واتفقت كل فرق المرجئة على ان الله تعالى لو عفا عن عاصٍ في يوم القيامة، عفا عن كل مؤمن عاصٍ هو في مثله، وان اخرج من النار واحدا اخرج من هو في مثل حاله، ومن العجب انهم لم يجزموا القول بأن المومنين من اهل التوحيد يخرجون من النار لامحالة، لكن بعض فرقهم قالت : لايدخل النار مؤمن، وان المؤمن العاصي ربه يعذبه يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم يصيبه لفح النار وحرها ولهيبها فيتألم بذلك على قدر معصيته، ثم يدخل الجنة، اما القول بالتخليد في النار فمحال وليس بعدل [18].

وهنا يرجح المرجئة الوعد على الوعيد، بمعنى ويؤمنون بأن الله من الجائز ان يخلف وعيده.

3-الامامة :

لقد قالت اوائل المرجئة بالامامة القول الاتي الذي نقله حسين الشاكري : خرج رسول الله (ص) من الدنيا ولم يستخلف على دينه من يقوم مقامه، وجوزا فعل هذا الفعل لكل امام اقيم بعد الرسول (ص)، ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم : على الناس ان يجتهدوا اراءهم في نصب الامام وجميع حوادث الدين والدنيا الى اجتهاد الرأي، وقال بعضهم : الرأي باطل، ولكن الله عز وجل أمر الخلق ان يختاروا بعقولهم [19].

كما ذكر ابن حزم في كتابه الفصل في الملل: على ان جميع المرجئة قد اتفقوا على وجوب الامامة [20]. كما كان هنالك اختلاف وعدم وضوح في موقف المرجئة من شروط الخلافة وخاصة فيما يتعلق بشرطي الفاضل والمفضول وشرط القرشية في الامامة، فقسم منهم اوجب شرط القرشية واكدوا ان الامامة لاتجوز الا في قريش خاصة [21]. اما القسم الاخر فقد ذهب خلافا للرأي السابق، فقد قال غيلان الدمشقي : الامامة تصلح في غير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها، وانها لاتثبت الا باجماع الامة. والعجب ان الامة اجمعت على انها لاتصلح لغير قريش، وبهذا دفعت الانصار عن قولهم : منا امير ومنكم امير، فقد جمع غيلان خصالا ثلاث انعكست بشكل كبير على ظاهرة الارجاء في الفكر السياسي الاسلامي، وهي الارجاء، والقدر، والخروج [22].

وحول المفاضلة بين الفاضل والمفضول في استحقاق الامامة، ذهب بعض المرجئة الى وجوب نصب الافضل، وانه لايجوز امامة من يوجد في الناس افضل منه، اما البعض الاخر من المرجئة فقد ذهب الى جواز نصب المفضول، وان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه [23].

اما طريقة عقد الامامة فبينا سابقا لاوائلهم انها قضية عقلية ترجع للامة، وبهذا فان المرجئة لاتؤمن بالنص لعقد الامامة كما ذهبت الشيعة، ولايوجد ما يثبت انهم يحتكمون للشورى، بل تجاوزه حينما قالوا بالعقل والاجتهاد للناس وهنا تعميم واضح قد يبرر ممارسات تاريخية حاصلة في الخلافة الاموية تحديدا، وخاصة حينما لم يشترط قسم منهم القرشية والفاضل على المفضول ، بل حتى قولهم بعقد الامامة للفاضل لم يحددوا اشتراطات او معايير محددة لصفات الفاضل على المفضول، لكنهم في مواضع اخرى اجازوا احد طرق عقد الخلاف عبر الوصية، فهي بنظر المرجئة صحيحة وجائزة لكنها مقيدة بعدم الوجوب، اذا قالوا اذا اوصى الامام الى من يصلح لها وجبت على الامة انفاذ وصيته [24]. ومن هنا نستطيع القول بانه لاتوجد مقاييس واضحة عند المرجئة متفق عليها لطرق انعقاد الامامة واشتراطاتها لكنهم اقروا بوجوبها، وهنا توضع التفسيرات السياسية لنحو هذه الفرقة هذا الاسلوب في قضية الامامة تتعلق بالموقف من السلطة القائمة.

المحور الثالث : تقيم ومقاربة فكر المرجئة

اولا : تقييم فكر ومعتقدات المرجئة

ذهب محمد ابو زهرة في تقييمه للمرجئة الى القول: ان المتتبع لهذا المذهب نجد انه تم اتخذه مذهبا لكل مفسد مستهتر، حتى لقد ذكر فيه المفسدون، واتخذوه ذريعة لمآثمهم، ومنهلا لمفاسدهم، ومسايرا لنياتهم الخبيثة، وصادف هوى اكثر المفسدين، وان المرجئة كانت مذهبا لاحدى طائفتين : احداهما متوقفة في الحكم على الخلاف الذي وقع بين الصحابة، والخلاف الذي وقع بعده في العصر الاموي، والطائفة الثانية : هي التي ترى ان عفو الله يسع كل شيء [25]..الى اخر ماذكرناه من المعتقدات في الايمان وغيرها.

وقد وصفهم جعفر السبحاني بقوله : ان المرجئة من اخطر الطوائف الاسلامية على شباب المسلمين، حيث ذهبوا الى ان الايمان قول بلا عمل، ونية بلا فصل، وانه لايزيد ولاينقص، وبذلك اعطوا للعصاة الضوء الاخضر حتى يقترفوا المعاصي الكبيرة،

والاثام الموبقة، من دون ان يكون لذاك تأثير على ايمانهم [26]. وبهذا يعتقد السبحاني ان المرجئة دعوا المجتمع الاسلامي الى التحلل الاخلاقي، رافعين عقيرتهم بنفي وعيد الله واسقاط المعاصي عن المسلم والاكتفاء بالقول ايمانا بدل العمل، فقد ضلوا واضلوا كثيرا، حتى دب الارجاء بين المحدثين وغيرهم في القرن الثاني للهجرة، وقد ذكر اسمائهم السيوطي في كتابه تدريب الرواي، ولهذا سبب الارجاء فوضى كبيرة في العمل، وظهر الشقاق بين المسلمين، وانقسموا الى فرق كثيرة مضادة لبعضها البعض، حيث كان النزاع قائما على قدم وساق [27].

اما فيما يخص تقييم موقف المرجئة سياسيا، فاغلب الكتابات والاراء تتفق على ان الامويين احتضنوا هذه الفرقة في بدايات ظهورها، لانهم راوا في انتشار فكرتها بالنسبة للمعاصي، وهم غارقون فيها كبيرها وصغيرا، سندا لهم في قبال الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة كما مر بنا [28].

في الواقع ان المرجئة تعد فرقة سياسية كما هي فرقة عقائدية، خلطت اصول الدين بالسياسة، فتم اعتبارهم اعوان الامراء والمنضوون تحت لوائهم، يؤيدون دولتهم مع ارتكابهم المحارم، وانغماسهم بالجرائم. وقد فسح هذا المبدأ الهدام للمفسدين والمنحرفين طريق الوصول الى غاياتهم بما يرضي نهمهم، وقد اتخذوه ذريعة لمآثمهم، ومبررا لاعمالهم القبيحة، وساترا لاغراضهم الفاسدة. وقد ايدو برأيهم هذا خلفاء الدولة الاموية تأييدا عمليا، فهم في الواقع قد فتحوا باب الجرأة على ارتكاب المحارم، وايدوا المجرمين، وأيدوا الظلمة، وقللوا من المخاوف في العقاب والمؤاخذة [29].

وهنالك من يذهب الى ان هذه الفرقة صنيعة اجهزة السلطة الاموية انذاك، ثم تحول فكر المرجئة كأداة للسلطات الحاكمة في كل العصور لتبرير سياسة الحاكمين والحيلولة دون نقدها في حالة مخالفتها لاحكام الشريعة [30].

وايضا بذات السياق قيل : ان اهم مذهب شجعه بني امية هو مذهب الارجاء، اذا ظهر هذا المذهب بعد احداث الفتنة، كما تظهر حمامة السلام، مذهبا سياسيا مسالما يحمل غصن الزيتون، يلوح به لجميع ويعلن ان الجميع قاتل ومقتول وظالم

ومظلوم على حق، لانه لايوجد احد يستطيع ان يعين ايهم المخطئ وايهم المصيب، لان الامور مشتبهة، ولهذا فان الحكم ان يترك امر الجميع الى الله. ولقد عمل الامويون على استقرار هذا المذهب الذي يخدم البيت الاموي، بعد ان ثار جدل طويل حول موقعة الجمل وصفين والنهروان، وبدأ البعض بحثا عن الحائق، ولقد جاء هذا المذهب نتيجة للكم الرهيب من الاحاديث والقصص التي وضعت من قبل وعاظ السلاطين في حينها، وتم خلط الحق مع الباطل، حتى التبس الامر على الكثير، واحاطت الشبهات بهذه المذهب [31].

لكن انطلاقا من المدلول السياسي للارجاء، ممكن ان لانجزم بان قضية الموقف من السلطة تتجسد بعدم الخروج فقط، اذ يبدو ان هنالك فرق واتجاهات وتقييمات متباينة ازاء السلطة على ما يبدو.

اذ ذهب بعض محدثي المرجئة في حرب الامام علي ومحاربة من حاربه : ان عليا كان مصيبا في حربه طلحة والزبير وغيرهما، وان جميع من قاتل عليا وحاربه كان على خطأ، وجب على الناس محاربتهم مع علي، والدليل على ذلك قول الله عز وجل: " فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ الى امر الله " [*]، واهم من قال بهذا القول (ابو يوسف) و(بشر المريسي) ومن قال بقولهم [32].

اضافة الى احداث تاريخية عديدة تبين ان بعض المحسوبين للمرجئة لم يؤيدوا السلطة القائمة ، بل كان لهم في بعض الاحيان نشاط سياسي ضدها.

وهنالك من قال بان المرجئة حزب سياسي محايد، اذ ان تأييد المرجئة للحكم الاموي، يتمثل بقبولهم بهذا الحكم واضفاء الصفة الشرعية فقط، اذ لم ينحازوا اليه بالقتال في صفوفه، او باجتذاب الناس الى دولته. [33].

ان النظرة الفاحصة لاحداث التاريخ العربي الاسلامي في الفترة الاموية، تفضي الى عدم قبول التعميم الذي ساقه الكثير من الباحثين والمؤرخين والكتاب، حول موقف المرجئة المؤيد للسلطة الاموية. فمما لاشك فيه ان المرجئة الاوائل اتخذوا موقفا سياسيا يستهدف احتواء كافة الاطراف المتنازعة في الفترة المتأخرة من عهد الخلافة الراشدة، والذن قاتلوا مع علي والذين قاتلوا مع معاوية، كلهم مصدق بالله

ورسوله، وكلهم متأول فكلهم مؤمن، واذا اخطأ بعضهم فعفو الله قد يشملهم، ومما لاشك فيه ايضا ان كثيرا من المرجئة ايدوا السلطة الاموية انطلاقا من عقيدتهم الارجائية [34]، التي تزامنت مع ممارسات السلطة الاموية فاعتبرت شرعنة لها وانها الدعامة الفكرية للامويين بعد ان تلقفوها وعملوا وفقا لها لتبرير سياساتهم وتثبيت حكمهم.

وهنا يمكن التفسير ان العلاقة بين المرجئة والامويين تخضع لاحتمالين : انها لم تكن وليدة اتفاق، انما وليدة صدفة، اذ وفر الارجاء وتهربهم من الامويين رغم كل الملابسات المثارة حول حكمهم، بيئة خصبة للاستفادة من ترددهم وعدم مخالفتهم او مقاتلتهم، طالما ان الامويين هم مسلمون فيبقون مؤمنون، فلا يجوز قتلهم ومقاتلتهم. او : انهم تبنوا هذه العقيدة وابروزها لانهم يريدون تاييدهم ، وخاصة ان ملامح الامويين بدأت تلوح في السلطة منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان، وتمركز الولاة منهم في الدولة الاسلامية حينها، ولهذا ارادوا تبييت موقف الرضا لحكمهم، بعد ان اقروا كمرجئة بعدم الخوض في جور الحكام والولاة والحكام عبر تقييم جدارتهم بالحكم والسلطة ولاحتى شرعيتهم ومشروعيتهم، وعدم التطرق لموضوعة ايمانهم وفسقهم وارجاء ذلك الى يوم القيامة.

ثانيا : مقاربة فكرية لمعتقدات واراء المرجئة:

تحيط بظاهرة الارجاء في الفكر السياسي عدة تداخلات واراء. فهنالك من يذهب الى ان الارجاء كان ورائه النصارى، بسبب الكم الهائل من القص والحديث الذي ادخل لفكر المرجئة، اذ يميل المستشرق (كريمر) : الى القول بان هنالك صلة بين مبادئ المرجئة وبين تعاليم الكنيسة الشرقية، ويرى ان هذا واضح بالذات في فكرة عدم التخليد في النار، كما ان ايمان المرجئة الهادئ الذي يغلب عليه الانشراح وتعزية النفس يتفق كل الاتفاق مع تعاليم (يوحنا الدمشقي) الذي كان وقت ظهور هذه الطائفة يشتغل بالابحاث الدينية، ويتمتع بشهرة كبيرة في عاصمة الخلفاء الامويين، ثم يؤكد في النهاية ان اراء المرجئة ترجع في اصلها ومسلكها الى فلسفة

الكنيسة الاغريقية، اذ يبدو من حيث المعتقدات الايمانية هنالك ربط بين المرجئة وتعاليم هذ الكنيسة [35] . كما ذهب (كريمر) الى ان الارجاء ظهر نتيجة شدة عقيدة اهل السنة والجماعة باعتقادهم انه لايخلد مسلم في النار، ويقول : ان الثورات التي قامت ضد الدولة الاموية، ومنها ثورة المرجئة، لم تكن ثورات دينية بل لذلك علة اخرى تتعلق بالعداوات والصراعات السياسية والتاريخية للعرب قبل وبعد الاسلام[36].

اما (فان فلوتن) فيقول رأيه بالمرجئة : انهم ضمنوا عقيدة التوحيد بعدا اخلاقيا ودينيا عميقا، ولهذا فمن الطبيعي ان تدفع اتباع عقيدة الارجاء الى احتقار الفرائض العملية في الاسلام ووضعهم واجبات المرء نحو من يحيط به من الناس فوق اراء الفروض التي جاء بها القران، ويقول ايضا ان الارجاء جاء نتيجة حتمية للاسلام الشكلي الذي يمثل دين الحكومة العربية في ذلك الحين تلك الحكومة التي اصرت على عدم المساواة بين رعاياها في الدين وانشغلت بجمع الضرائب وجباية المكوس[37].

اما (يوليوس ويلهاوسن) فيقول : ان الارجاء فرقة طالبت بالعدالة والمساواة للشعوب التي استعمرها الفاتحون المسلمون، والارجاء في الواقع سياسة في جمع الشمل، فالمسائل المختلف عليها استبعدت وتركت لحكم الله، وخاصة في المسألة الخلافية الدائمة التي لاتحل وهي من هو الامام الحق الوحيد ؟ وكان هذا احتجاجا باسم الدين على الطغيان الواقع، اذ يقر ان المرجئة حركة ثورية ضد الطغيان باسم الدين وضد الفتحوات الاسلامية، ولهذا وسع المرجئة مفهوم الايمان ليشمل جميع الشعوب المضطهدة لكي تكون يدا واحدة على الشعب الفاتح [38] .

من خلال ماسبق نجد ان هنالك تضارب في الاقوال والاخبار عن المرجئة واراءهم وافكارهم ومواقهم تجعل من الصعب الجزم بتحديد نسق فكري واحد لهم، فهل الارجاء بدعة نظرية في الدين ام ممارسة فكرية تستبطن مواقف ذات اغراض سياسية تتجاوز قضايا الاعتقد والايمان والكفر ولوعيد وغيرها ؟

لكن الشيء المؤكد الذي كان نتيجة لظهور الارجاء بغض النظر عن الاسباب المُنشئة لهذا الفكر وتداخل الشبهات حول اغراضه واهدافه، انه ادى تدهور قيمة

العمل في الفكر الاسلامي عامة والسياسي منه خاصة، فيما يتعلق بقضية الموقف من السلطة السياسية، كذلك يمكن القول ان المنهج التوفيقي او المحايد هو احد مخرجات الارجاء وهو منهج ،هذا المنهج لم يرد ان يتخذ موقفا، بلا اعاتد على الرأي الوسط بين المتضادات، واعتماد المواقف المركبة.

الخاتمة والاستنتاجات

بعد ان استعرضنا اصل المرجئة في اللغة والاصطلاح وتعرضنا للنشأة التاريخية لهم، وبيان اهم فرقهم ومعتقداتهم، يمكن القول :

1- ظهر الارجاء نتيجة المجادلات المستمرة بين الفرق، ان جماعة المرجئة لم تكن فرقة محددة المعالم متميزة التفكير والتنظيم والاراء والمواقف، بل شملت تسمة المرجئة اشخاصا كثيرين جمعتهم عقيدة الارجاء، وفرقت بينهم مواقف عقيدية وسياسية اخرى، دلت على غياب خط فرقي واحد متناغم يجمهعم، وهذا يفسر بتغلغل عقيدة الارجاء الدينية في صفوف افراد منتمين الى جماعات او فرق متنوعة جمعوا بين مقولتهم المرجئية في اطارها الديني فقط، وبين معتقداتهم الدينية ومواقفهم السياسية الاخرى ذات الانتماء الفرقي المعلن والمتباين [39].

2- ان المرجئة على عدة اصناف، منهم قالوا بالارجاء في الايمان، وبالقدر على مذاهب القدرية، (مرجئة القدرية) ومنهم من مالوا بعدها الى الاعمال والاكساب وتكفير صاحب الكبيرة (مرجئة الخوارج)، وصنف منهم خاصة في الارجاء من غير قدر (مرجئة الجبرية). ومايجمع اغلب المرجئة ان الايمان لديهم مجرد كلام دون غيره، اي انه ليس قول وعمل.

3- على مايبدو ان نشوء ظاهرة الارجاء في بدايتنها لاتتعلق اساسا بقضية الكفر والايمان، انما تتعلق بالموقف من الصحابة المختلفين في الفتنة في عهد عثمان بن عفان، وحروب الامام علي في الجمل وصفين والنهروان.

4- ان عثمان وعلي وطلحة والزبير ومعاوية، مؤمنون لانهم لم يشركوا بالله فلا ينفى عنهم اسم الايمان ولكن لا ولاية لهم ولا محبة نتيجة انشقاقهم، كما ان الخوارج مخطئون لتكفيرهم لهم.

5- هنالك اراء شبه ان تجمع: ان الارجاء انما ظهر لتدعيم ركائز الدولة الاموية فكريا، وتثبيت نظام الملك السياسي يفيها وان المرجئة موجهة لمصلحة الطبقة الحاكمة وان بيعة الامويون صحيحة فتجب طاعتهم، بدل الخلافة الاسلامية التي كانت قائمة ابان الخلافة الراشدة [40].

6- تحول الارجاء المتعلق بالايمان بشكل عام من ظاهرة نظرية الى ظاهرة عملية عامة اخترقت الحياة الاسلامية عامة، إذ أصبحت الأمة في القرون الأخيرة تتبنى بنسبة كبيرة الإرجاء عقيدة ومنهجاً، وتعد مخالفه خارجاً مارقاً، وتضبط دينها وأحكام إيمانها بأصوله وقواعده، وأصبح معنى كون الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد أركاناً للإسلام، هو اعتقاد وجوبها والإقرار به وإن لم يعمل من ذلك شيئاً.

7- الظاهرة الاخرى ظهور مايسمى بحركات الاسلام السياسي، او الاحزاب والحركات الاسلامية وانخراطها بممارسة السلطة وتخليها عن اتجاهات الدعوة الإسلامية التي عملها وغرضها في الأصل إعادة الناس إلى حقيقة الإيمان اعتقاداً وعمل واعتمادها على هذا الفكر الارجائي دون ان يشعروا.

The phenomenon of delay in Islamic political thought

The issue of the emergence of teams, bees and groups in Islam is one of the serious issues that the Islamic religion has undergone and this has been reflected in the thought. The Marjeehgroup is one of these teams that appeared in the early days of Islam. This is explained by the penetration of the doctrine of religious delay in the ranks of individuals belonging to different groups or groups that combined their term in the religious context only, and between Mu'taq Other religious accused of belonging Alvrgi professed political divergent positions and Variable

[1] – حيدر اسد الامام الصادق والمذاهب الاربعة، ط 2 بيروت دار الكتاب العربي 1969 ج 4 ص 369.

[2] – محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ط 2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، 1988 ص 421.

[3] – ابن منظور، جمال الدين بن محمد: لسان العرب، قم، ادب الحوزة للنشر، 1405هـ، ج 1، ص 84.

[4] – ابي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق : محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج 1، ص 139.

(*)– سورة التوبة : الاية 106.

[5] – محمد بن عبد القادر، مختار الصحاح، ضبط وتصحيح : احمد شمس الدين، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994، ج 2، ص 146.

[6] – فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، تحقيق : احمد الحسيني، ط 2، ايران، مكتب النشر والثقافة الاسلامية، 1408هـ، ج 2، ص ص 144–145.

[7] – المصدر نفسه، ص 145.

[8] – محمد جعفر شمس الدين، دراسات في العقيدة الاسلامية، د.م،د.ن، د.ت، ص ص 31–32.

[9] – محمد ابو زهرة ، تاريخ المذاهب الاسلامية :في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، د.م.، دار الفكر العربي، د.ت. ص ص 119–120.

[10] – المصدر السابق، ص ص 120–121

[11] – شريف الامين، معجم الفرق الاسلامية، ط 1، بيروت، دار الاضواء، 1986، ص 221.

[12] – اسعد وحيد القاسم، ازمة الخلافة والامامة واثارها المعاصرة، ط 1، بيروت، دار الغدير للنشر، 1997، ص 255، نقلا عن باقر شريف القرشي، موسوعة الامام الصادق، ج 7، ص 212.

[13] – جهاد تقي صادق، المرجئة وقضية الخروج على السلطة، مجلة العلوم السياسية، السنة الخامسة، العدد 12، تموز 1994، ص 5.

[14] – حسين الشاكري، نشوء المذاهب والفرق الاسلامية، ط 1، النجف الاشرف، منشورات الحاج حسين الشاكري، 1418هـ، ص ص 101–102.

[15] – الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص ص 139–145.

[16] – محمد جعفر شمس الدين، مصدر سابق ص 33.

[17] – حسين الشاكري، مصدر سابق، ص 98.

[18] – الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص ص 143–144.

[19] – حسين الشاكري ، مصدر سابق، ص 101.

[20] – ابن حزم الاندلسي، الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط 2، بيروت، دار المعرفة، 1975، مجلد 3، ج 4، ص 88

[21] – المصدر نفسه، ص 89.

[22] – الشهرستاني، مصدر سابق، ج 1، ص 143.

[23] – جهاد تقي صادق، مصدر سابق، ص 9.

[24] – عبد القاهر بن طاهر البغدادي، اصول الدين، ط 3، بيروت، دار الكتاب العلمي، 1983، ص 125.

[25] – محمد ابو زهرة، مصدر سابق، ص 156–166.

[26] – جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن (العدل والامامة)،د.م،د.ن،د.ت، ج 10، ص 331.

[27] – جعفر السبحاني، في ظلال التوحيد، ايران، معاونية شؤون التعليم والبحوث الاسلامية، 1412هـ، ص 94.

[28] –محمد جعفر شمس الدين، مصدر سابق، ص 32.

[29] – حسين الشاكري، مصدر سابق، ص 102.

[30] – اسعد وحيد القاسم، مصدر سابق، ص 256.

[31] – سعيد ايوب، الانحرافات الكبرى(القرى الظالمة في القرآن الكريم)، ط 1، بيروت، دار الهادي، 1992، ص 488.

[32](*)– سورة الحجرات، اية : 9.

– حسين الشاكري، مصدر سابق، ص ص 101–102

[33] – احمد امين، فجر الاسلام، ط 10، مصر، لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1965، ص 333

[34] – جهاد تقي صادق، مصدر سابق ، ص 11.

[35] –نعمان القاضي، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي، ط 1. القاهرة ، دن، دت، ص،309

[36] – المصدر نفسه، ص ،311.

[37] –فان فلوتن، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات، ترجمة : حسن ابراهيم ، القاهرة، دن، دت ، ص 66.

[38]–يوليوس ويلهاوسن، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة : يوسف العش، دمشق، 1376 هـ، ص 368.

[39] – جهاد تقي صادق، مصدر سابق، ص 12.

[40]– للاطلاع حول هذه الاراء ، ينظر : اسعد وحيد القاسم، مصدر سابق، ص ص 255–256.